[**https://www.al-akhbar.com/Opinion/271991/رد-على-نقد-جائر-في-بديهيات-علم-الحرب**](https://www.al-akhbar.com/Opinion/271991/%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%86%D9%82%D8%AF-%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D9%81%D9%8A-%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%87%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8)

**ردّ على نقد جائر: في بديهيات “علم الحرب"-** [**منير شفيق**](https://www.al-akhbar.com/Author/4117)

 الأخبار- [رأي](https://www.al-akhbar.com/Opinion) الإثنين 17 حزيران 2019

في نقد ماجد الكيالي (على فايسبوك) لمقالة «[الحرب على إيران حربٌ على فلسطين](https://www.al-akhbar.com/World/271561/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A)» الذي نشرته جريدة «الأخبار» في 7/6/2019، يأخذ عليّ القول أن ثمة مواجهة بين إيران والكيان الصهيوني في سورية. فهو يرفض ذلك كلياً، بل يعتبر أن إيران «قدمت أكبر خدمة تقدمها دولة لإسرائيل في تاريخها». ويضيف أنني لا أرى «أن حزب الله انصرف عن المقاومة منذ عام 2000» ثم يخرج عن موضوع المقالة لينقد ما ليس فيها ليغرق في تهجّم شخصي أعتبره لا يعنيني في شيء، ولا أردّ عليه بمثله، لأن المهم هو التوقّف عند المقولتين الأساسيتين التي يقوم عليهما كل نقده في ما يتعلق بالمقالة، وهما: هل ثمة مواجهة بين إيران والكيان الصهيوني في سورية؟ وهل انصرف حزب الله عن المقاومة منذ عام 2000؟

والسؤال: كيف يمكن أن يصل عقل ما إلى حدّ إنكار كل ما تقوله وتفعله السياسة الإسرائيلية في مواجهة إيران في سورية، ولا سيما ما قامت، وتقوم به طائراتها وصواريخها في استهداف ما تسمّيه «صواريخ إيرانية» تُزرع في سورية. وهذه ليست واقعة واحدة مرّت مرور الكرام، وإنما أحداث مستمرّة ومنذ أشهر، ووقائع دامغة لا يمكن إنكارها. وقد وصلت في إحدى الجولات، وبإعلان صهيوني رسمي، إلى القول إن الغارة الصهيونية ضربت موقعاً للصواريخ في جنوب مطار حماه، أدى إلى إحداث هزة أرضية بقوة 2.7 درجة على مقياس ريختر. ثم يأتي ذلك العقل وينكر أن ثمة مواجهة عسكرية بين الكيان الصهيوني وإيران.
حقاً كيف يمكن أن يُناقش؟ بل كيف يمكن أن يصل الأمر إلى حدّ إنكار كلّ هذه الوقائع التي لا يشكّك أحد في وقوعها؟ ثم يتجاهل كل ما يُصرّح به ويُعلنه نتنياهو حتّى في خطاباته الرسمية في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة؟
هذا بالتأكيد يدخل في العجب العجاب.
في الحقيقة ثمة عدد من المحللين السياسيين، يفترض أنهم ذوو وزن، سبقوا ماجد الكيالي في عام 2009 باتهام حزب الله وحماس بأنهما أصبحا يحميان الحدود مع الكيان الصهيوني وانتهت مقاومتهما، وذلك، بسبب ما انتهت إليه حربا تموز/يوليو 2006 في لبنان و2008/2009 في قطاع غزة من وقف لإطلاق النار.
هذا رأي من لا معرفة له بحقيقة بديهية في «علم الحرب»، وفي التاريخ المعاصر على الأقل، وهي أن الحرب بين عدوَّين لا تقتصر على الاشتباك بالنيران والمعارك كما هو الحال في الحرب الحامية، وإنما تمتدّ، وبالقوة نفسها، عندما ينتقلان إلى الهدنة، وأحياناً حتى إلى شبه صلح، تجعل كلّاً منهما يستعد للحرب القادمة. أي يأخذ بتطوير قدراته العسكرية سواء أكان بزيادة التسلح كماً ونوعاً، أم بالتدريب وإعداد القوات، أم بالتحصين أو حفر الخنادق والأنفاق. وهذا من الحرب ومن حالات الحرب.
ولهذا لا يمكن اعتبار سيادة هدنة وتوقف الاشتباك بالنيران، مهما طال أمدهما، انصرافاً عن الحرب أو المقاومة. بل قد يكون ذلك انتقالاً بالمقاومة كما هو الحال مع حزب الله وحماس (وحركة الجهاد في قطاع غزة) إلى مستوى أعلى من المقاومة السابقة التي اتّسمت بحرب «عصابات» أو ما يسمى تكتيك «اضرب واهرب»، وانتقلت إلى الإعداد لحرب مواقع ومواجهة أرقى مستوى.

لا يمكن اعتبار سيادة هدنة وتوقف الاشتباك بالنيران، مهما طال أمدهما، انصرافاً عن الحرب أو المقاومة
ولهذا من الحماقة أو الغفلة بالنسبة إلى أية قيادة حين ترى، عدوها يتسلح ويطوّر سلاحه ويزيد من قواته ويرفع من مستوى تدريبها، ويُحصّن جبهته، بأنها أصبحت آمنة، أو يمكن أن تطمئن إلى سلم أو أمن في مستقبل آت. وهو ما أقلق قيادة الجيش الصهيوني، وأقلق نتنياهو أشد القلق، وما زال يقلقهم وهم يرون عدوهم (حزب الله أو حماس والجهاد) يتسلّح ويطوّر سلاحه وعديده وقدراته العسكرية. وهذا ما حدث فعلاً، ولا يشكّ فيه إلّا ماجد الكيالي ومن يفكر على طريقته، فيعتبرونه «انصرافاً عن المقاومة». ويا لهذا «الانصراف عن المقاومة» حين أصبحت عشرات الآلاف من الصواريخ، بل أكثر، وفقاً لتقديرات العدو الصهيوني، موجّهة إلى أهم مرافقه وبناه التحتية. ولم يعد بالإمكان أو أصبح شديد الحذر من الدخول في اشتباك صفري على الأرض. فكيف يكون ما قبل 2000 مقاومة، ولا يكون مقاومة ما حدث كل ساعة ويوم في فترات الهدنة أو التهدئة من إعداد عسكري مقاوم. بل على مستوى أعلى من المقاومة.
وبالمناسبة ما حدث من سباق تسلّح، وغيره من أشكال الإعداد للحرب والسعي لامتلاك التفوّق العسكري، ما بين المعسكرين اللذين قادهما الاتحاد السوفياتي وأميركا كان حرباً أسموها «باردة» بالرغم من دوام الهدنة (عدم الاشتباك بالنيران) حوالى 45 عاماً.
من هنا يتبيّن مستوى الحكم (الاتهام) الذي يوجّه إلى حزب الله بالانصراف عن المقاومة عندما غاب الاشتباك بالنيران. وحلّ محله الاشتباك الأخطر. وهو سباق التسلح والإعداد لحرب أكبر وأطول وأخطر، وبموازين قوى عسكرية مختلفة.
وأخيراً يا ليت دونالد ترامب ونتنياهو يقتنعان بالنقطتين السابقتين التي أقام عليهما ماجد الكيالي نظرته للمواجهة بين إيران والكيان الصهيوني، أو بين حزب الله والمقاومة فينامان على فراش من حرير، بأن حزب الله انصرف عن المقاومة، وإيران وصواريخها ليسا في مواجهة الكيان الصهيوني. فعندئذ يهدأ التوتر في الخليج وتبتعد مخاطر الحرب، لأن أميركا لا تحارب من أجل السعودية أو الإمارات وإنما من أجل الكيان الصهيوني ومن أجله فقط حتى قبل مصالحها المباشرة.
\* كاتب ومفكر فلسطيني